النهار

الأربعاء 2018-11-07 العدد 26703

1

افتتاحية النهار

سمير عطاالله

أهل الواحات

حاج تصرِّخ يا منادي / ما فيهاش افادة
الرعيان بوادي / والقطعان بوادي
الأخوين رحباني

وأضيف، كاسراً للشعر، محافظاً على الواقع: والحمد لله. مساء الأربعاء الماضي دخلنا قاعة بيار ابي خاطر في الجامعة اليسوعية وتركنا خارجاً لبنان السياسي ونشرة الأخبار وأبناء التكليف والتصريف والتوليف. في الداخل، كانت تتجلى، كما في حفلات "الصوت والضوء"، صورة لبنان العامل والطيب والخيِّر.

9 ←

النهار

الأربعاء 07-11-2018 العدد 26703

افتتاحية النهار

سمير عطاالله

أهل الواحات

1 ← على المسرح ثلاثة: منى الهراوي وريمون نجار وريمون عوده، يتلقون الدكتوراه الفخرية من رئيس الجامعة وعالِمها، الأب سليم دكاش. دكتوراه في ماذا؟ دكتوراه دولة، لا فخرية، في قمة السعي وذروة النجاح. ثلاثة متفوقين اصرّوا على المرتبة الأولى في كل شيء: بدأ ريمون نجار وريمون عوده العمل التجاري يافعين في صيدا، يومها مدينة متوسطة الحجم في بلد صغير. وسوف يصبحان من كبار رجال الأعمال العرب. بل سوف يصبح ريمون عودة في وصف سليم دكاش: "أسد المصارف العربية".

ليس هذا موضوعي، ولا هو هموم جنابكم. كل ما يعنينا في أمر الثروات الوطنية أمران: مدى نزاهتها ومدى زكاتها. وليست لدي معرفة كافية بالدكتور نجار، أو بالدكتور عوده، لكن كيفما تلفَّت ارى اسميّ ريمون وعايدة نجار فوق اجنحة المستشفيات التي تبرعا ببنائها. وأنى قرأت عن مشروع وطني، رأيت اسم ريمون عوده، أو مصرفه الامبراطوري، الذي بدأ "كونتوار" صغيراً في صيدا.

أما الدكتورة منى الهراوي، التي صفقنا لها وقوفاً وقاطعناها تصفيقاً، وهي تلقي كلمة التشرف، فنعرفها منذ ان حملت لقب اللبنانية الأولى. ومنذ تلك اللحظة، تصرَّفت على أنه مسؤولية مدى الحياة.

جهدت منى الهراوي وبرعت في كل ما هو عمل خير، وتألقت في كل ما هو حضور وطني. في حياة الرئيس الياس الهراوي، وخصوصاً بعد غيابه، كرَّست كل جهد ومقدرة ومكانة، في سبيل الطفل والمرأة. وتحوّل مركز "التلاسيميا" الذي أنشأته إلى مؤسسة كبرى. ونحن كنا نخشى أن يغلق بعد وفاة الرئيس الهراوي، لكن منى الهراوي سيدة التحديات. وقد بدت الدكتوراه اكتمالاً طبيعياً لمسيرتها وعصاميتها الكبرى، إلى جانب العصاميين العملاقين اللذين حملا اسماً واحداً، وجاءا من مدينة عزيزة واحدة، كانت ذات مرحلة، عاصمتنا في الجنوب، قبل ان نكبر وتكبر همومنا وهمومها وهموم هذا البلد الرازح تحت الحقائب، الرافع الرأس بالمراتب.

أنشأ مصطفى امين في مصر مشروعاً خيرياً رائعاً سماه "ليلة القدر". وكان ينشر في زاويته على الدوام اسماء المتبرعين الذين اصبحت مساهماتهم اليوم بالملايين. حلمت طوال عمري بعمل من هذا النوع وأنا مدرك سلفاً لاستحالته. لكنني سوف اغتنم هذه المناسبة لكي اشكر في هذه الزاوية، من كل قلبي وضميري، من ألجأ إليهم عندما اقرأ عن شخص حط به الدهر وفي طليعة هؤلاء الرئيس سعد الحريري والوزير ميشال اده والدكتور فيليب سالم والمهندس جورج زاخم.

منذ ان سمعت عن ازمة الرئيس الحريري لم أعد ألجأ إليه لمساعدة أحد. واتمنى أن يستعيد سريعاً جميع قدراته. وأتمنى وأدعو للوزير اده بطول العمر والصحة الكاملة. فلم الجأ إليه في تعليم طالب، أو مساعدة أم محتاجة وتردد لحظة. دائماً كان كريماً واريحياً ويقدم أكثر بكثير مما يتوقع المحتاجون اليه والداعون له.

ثمة شيء مشترك بين الوزير اده والدكتور فيليب سالم والمهندس جورج زاخم. عندما اتصل لأعطي اسم محتاج ورد في الصحف أكون في حالة بالغة من الحرج الشخصي. وعندما أعطي الاسم، يكون الجواب واحداً: هذه مسألة اعتبرها انتهت، من هو الشخص التالي.

نحن بلد مستورين. لكن حتى السترة تصبح أحياناً صعبة. قسوة الحياة لا حدود لها، ونحن بلد بلا ضمانات، ينهبه الافظاظ والقساة والفاسدون ولا يوفرون فلس الأرملة أو قسط اليتيم.

ضاقت الدنيا ببعض الفنانين حتى اصبحوا يشكون الدهر علناً في الصحف. وكم من الناس مَن ليس له وصول الى منبر للشكوى. وحتى الصحف قد تطوي اوراقها في مثل هذا اليباب الذي نحن فيه. بلد جفَّت عروقه وضروعه، والسياسيون يتشاجرون حول ما تبقى.

يدور صراع مرير ومعطل ومعلّ وفظ ومبتذل حول الحقائب الوزارية، فيما يتسول ابناؤنا الحقائب المدرسية من تبرعات الجمعيات الدولية، كما يقول النائب ياسين جابر. مناخ عام من القسوة والفظاظة والجشع يسود كل شيء: المدارس والمستشفيات والمؤسسات. والدولة بلا حكومة وبلا دخل وبلا موارد.

في غضون ذلك لماذا لا تصرِّف الحكومة ما يمكن تصريفه من أعمال الناس وشؤون حياتهم؟ وإنني أتمنى على وزير الثقافة، الدكتور غطاس خوري، أن يوقع قانون تقاعد الفنانين، كي لا نقرأ مرة اخرى، بكل اسى، حكاية مثل قضية جيزيل نصر. هذا حقهم على الدولة وعلينا جميعاً. ومن أجلهم لا يَوقع قانون فحسب، بل يَخالف الف قانون. العدالة أهم من القانون، كما قال الرحبانيان في نقد تهافت الدولة وانعدام الاحاسيس.

لا يستطيع الانسانيون، مهما حاولوا، القيام مقام الدولة. والدولة طريق طويل، شائك ومتعرج، لم نبلغه منذ قرن. وقد لا نبلغه خلال قرون ما قبل القيامة. فلماذا لا يحاول كل مسؤول ذي ضمير أن يفعل قدر المستطاع بدل انتظار جرس ساعة منتصف الليل على جسر بطرسبرج، كما في رواية "ليالي بيضاء". لأنه يقرع دائماً لغيرنا.

مرة اخرى أناشد الوزير غطاس خوري، تطبيق القانون أو القفز فوقه أو رميَه من النافذة، من أجل ستر الفنانين المحتاجين، بعد الذي قرأناه خلال الأعوام الماضية. إن بؤسهم يساوي الف قانون في بلد خارج على كل القوانين والدساتير والحدود الدنيا من مكارم الاخلاق.

يشكر المرء الله على الواحات في بلد يزداد جفافاً وتصحراً. ولو مررتَ امام اليسوعية مساء الأربعاء الماضي لشاهدت جمعاً كاملاً جاء يشهد ليس للدكاترة في العلوم، بل في الإنسان، أعلى مراتب العلم. أولئك هم المتفوقون: لم يتركوا عقولهم تسبق قلوبهم. وتحية خاصة من أناس كثيرين، إلى ميشال اده، الدكتور الذي لم يستطع حضور الحفل.